إن ذلك كله عوامل تفرض تأكيد هذا الاتجاه . وان البديل في حالة استمرار الرفض الفلسطيني ، هو استمرار الاحتلال أو عودة الأرض المحتلة الى هيمنة الأردن وغيرها ، من غير أن يتوفر الأساس الذي يجعل من الممكن أن تكون سيادتهم عليها كاملة .

واذا كانت الأسباب التي تدفع نحو الانقسام بسبب الخلافات الحادة كثيرة ، فان الرغبة في تجنيب حركة المقاومة الفلسطينية مصيراً كهذا لم تكن ضيئلة . وكان أساس هذا هو الاعتقاد بأن الانقسام سيضعف الفرقاء جميعاً ، وسيضعف بالتالي مجمل النضال من أجل تحقيق المطالب الفلسطينية الوطنية أياً كانت وأياً كانت درجتها . وقد انعكست هذه الرغبة في سلوك ناس ينتسبون إلى الفرقاء كافة ، وانعكست بصفة خاصة في سلوك أوساط الرأي العام الفلسطيني الذي حال ناس منه في حالات كثيرة ، حتى بأجسادهم بالذات ، دون وقوع احتكاكات ، معرضين أنفسهم لخطر الموت .

ويمكن هنا أن نسجل لفتح أنها ، بصرف النظر عن استثناءات ليست كثيرة ، لعبت دوراً كبيراً في الحيلولة دون وقوع الانقسام الحاد . وفعلت فتح ذلك لأسباب عديدة نورد أهمها فيما يلي :

أولا – لأن فتح تعتبر نفسها حركة وطنية واسعة تستقطب الاتجاهات كافة . والحقيقة أن فتح ضمت في صفوفها ، على نحو ما ، ممثلين للاتجاهات كافة ، وكان لفتح رافضوها أيضاً ، الأمر الذي جعلها تتأثر بهذا المقدار أو ذاك بالطروحات المتعددة ، وتمتص بالتالي الاشكال الحادة لردود الفعل فتخففها من خلال حرص فرقائها جميعا على استمرار وحدتها .

ثانيا – وهي بنهجها التجريبي ، القابل للاستجابة السريعة لما يستجد من تطورات ، لاحظت بعد قليل من توقف حرب تشرين ميولا عربية، وخاصة مصرية،لاسترضاء أميركاوتغليب وجهة نظرها في التسوية ، وأدركت على نحو ما ، ان التسوية من وجهة النظر الاميركية لن تستوعب مطالب الحد الأدنى الفلسطينية .. ولهذا صارت أكثر حذرا في اعلان موقفها المحدد من التسوية ، مما خفف ردود الفعل المقابلة على الساحة الفلسطينية ، وخاصة ردود فعل الرفض .

ثالثا – ولأسباب لا مجال لبحثها هنا ، تمسكت فتح بضرورة تحقيق الاجماع الفلسطيني على برنامج موحد يلتقي حوله الجميع ، مما أوجب عليها أن توسع صدرها ازاء ما يمكن أن يعتبر استفزازات موجهة ضدها .

رابعاً – ثم إنها كانت مطمئنة الى رسوخ وضعها : حيث يحالفها على الساحة الفلسطينية الجبهة الديمقراطية (التي أخذت تتصدى من جانبها لطروحات الرفض) والصاعقة ، والأغلبية العظمى ممن يوصفون بالمستقلين ، ويؤيد الشيوعيون طروحاتها. ويحالفها على الساحة العربية دولتا المواجهة : مصر وسوريا ، في وقت ظلت علاقاتها فيه وطيدة أو متوازنة مع معظم الدول العربية الأخرى ، بينما كان العراق وحده هو الذي يخص الرفض بدعمه . ووجدت طروحاتها باتجاه التسوية تنسجم انسجاماً كبيراً مع موقف الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكيةُ ، ومع مواقف الكتل الدولية الأخرى المؤيدة للمطالب العربية وأبرزها كتلة دول عدم الانحياز وكتلة الدول الاسلامية .